الفصل الأول

مدخل لابد منه

تمثل « الرواية المصرية » على مدى عمرها فى قرن من الزمان أو نحوه صورة واضحة لحركة المتغير الاجتماعى والحضارى للمجتمع المصرى · تعبر عنه بصدق وأمل وتنوع ، تكشف عن عناصر تكوين البنية الاجتماعية بدءا من ترسبات الميثولوجى حتى تشابكات الحداثة · مرورا بعناصر المد الملحمى والعقائدى والتجاريب المستكملة عناصر بقائها فى تكوينات الوجدان الجمعى·

« الروائى» واحد من أبناء هذه البنية الاجتماعية المعقدة أشد التعقيد ، المتنوعة التجارب الراضخة تستلهم عن كثب حركات المد والجزر الحضارى، الباحثة عن صيغة لوجودها عبر أزمان وحقب متعاقبة ، تبدو ساذجة بقدر ما تتشابك السذاجة الفطرية وتتعقد ·· ولأن « الروائى » منتم بدرجة أو بأخرى ـ مهما أراد وعيا غير ذلك ـ فهو التعبير المباشر الصادق حتى لو وهنت أدواته ·· أو لم تستكمل ـ فى الظاهر ـ تجاربه ·· بل ان درجات الاجادة ليست دليلا على صدق الانتماء أو لاصدقه ، ولكنها دليل شكلى على مدى قدرته على التعبير ، وتفاوت درجات التعبير من مستوى روائى لآخر، سواء على مستوى الروائيين كنماذج أو على مستويات التعبير لدى الروائى الواحد ·

ومنذ البداية الأولى فى نهاية القرن الماضى حتى اليوم مرت مستويات العمل الروائى بتجارب متوازية واستلهمت مضامين فنية متعددة تستقى مادتها من الواقع الاجتماعى بدرجات متفاوتة ، وتحاول التعبير من خلال تطويع أشكال فنية متعددة · ولقد سبق أن أشرت فى موضع سابق الى أنه على الرغم من تعرف الأدب الحديث فى مصر على هذا الشكل الفنى متأخرا بالمقارنة بالآداب العالمية الأخرى الا أنه استطاع خلال هذا القرن أن يتفوق

على أشكال الرواية العالمية ، بل ويخوض تجارب متنوعة لا تقل على كافة المستويات عن تجارب الآداب العالمية المختلفة ٠

ولقد دخلت الرواية مجال الدراسات الأكاديمية من أوسع الأبواب ، فى محاولة رصد حركة مضمونها ، وأشكالها وتياراتها ومذاهبها المختلفة ٠٠ بل لقد تصدرت الدراسات الأكاديمية فى الرواية قائمة الدراسات الأكاديمية الأخرى فى الشعر أو القصص القصير أو المسرح ٠٠ فلم تخل برامج أية جامعة من دراسات للماجستير والدكتوراه فى هذا المضمار حتى جامعة الأزهر التى عكف بعض أساتذتها من كليات اللغة العربية بها على هذا الفن ليحظى بالاعتراف الرسمى من أشد الاتجاهات تعصبا للشعر والتقليدى منه فحسب على أنه فن العربية الأول (١) ٠

والجدير بالملاحظة أن الدراسات الأكاديمية قد تخطت المعيار الزمنى وتتجه الى دراسة الأحياء من المبدعين ٠٠ بل لعلها تمادت فى ذلك لتدرس الشباب من المبدعين ٠٠ ولا تتوقف عند الرواد كيحى حقى وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ متعللة بمناحى الاتجاهات النقدية الجديدة التى يمكن أن تتوقف عند مرحلة من عمر الكاتب ، أو عمل فنى ما ، ولا يلزم للحكم على انتاجه وأتجاهه الفكرى أن تكتمل أعماله الفنية لتتكون ، رؤية شمولية » ناضجة لدى الباحث ٠٠ ومن هنا وجدنا الدراسات الأكاديمية تخوض عوالم المبدعين المحدثين ولا ترى ضررا فى رصد الظواهر المؤقتة !! فى انتاجهم ٠٠ اذ هى بالحتم كذلك ٠

ولا شك أن شكل « الرواية المصرية الجديدة » ، أو اذا صح لنا الزعم بأنها مرحلة شبيهة بمرحلة الرواية الفرنسية الجديدة Le Nouveau Roman المتمثلة فى أعمال أعلامها آلان روب جرييه (ولد ١٩٢٢) وناتالى ساروت

---

(١) من أوائل الدراسات الأكاديمية المقدمة فى هذا المجال ٠ دراسة الأستاذ الدكتور محمود حامد شوكت الأدب القصصى والمسرحى ٠ وكذا دراسة الدكتور أحمد هيكل الى دار العلوم ٠

(ولد ١٩٠٢) وكلود سيمون (ولد ١٩١٣) (٢) ٠ ان شكل الرواية المصرية الجديدة يدخل عالما رحبا من التجارب المتعددة التى استلزمتها متغيرات المضمون الفنى ، ومتغيرات الرؤية الواقعية الجديدة ٠ فعلى مدى ما يقرب من قرن كامل من الزمان بين نهايات القرن التاسع عشر ونهايات القرن العشرين تنوعت الأشكال الفنية لا بدرجات متتالية ، ولكن بدرجات متصاحبة حتى فيما يتعلق بالمذاهب الفنية التى توازت فى تمثل فن الرواية لها بحيث نجد الواقعية تصاحب الرومانسية ، بل وتمتزج بها أحيانا لتصاحب الرمزية أو تمتزج بها على درجات متفاوتة من المصاحبة والامتزاج ٠

واذا كانت درجة السذاجة Naive تبدو واضحة فى مرحلة الرواية الأولى ٠٠ سذاجة التناول ، أو سذاجة الواقع المعيش ٠٠ فان درجة من التعقد تصاحب المرحلة الأخيرة نتيجة تنوع أدوات التعبير الفنى ، وتجارب الأجيال، وتنوع درجات تعقد الحياة الاجتماعية بروافد تكويناتها المختلفة ٠٠ هذا التعقد المضحك أحيانا عندما نطرح قضية مثل«الحجاب والسفور»اذ كانت محور عدد من الاعمال الروائية والمسرحية فى بداية القرن العشرين عندما طرحت والمرأة فى حجاب تريد الخروج عليه ٠٠ واذا بنهاية القرن يطرح ذات القضية والمرأة فى سفور تريد فى الاغلب الاعم الخروج عليه ٠٠ قس على هذه القضية الكثير جدا من القضايا المطروحة التى تكرر نفسها بعد قرن كامل من الزمان بشكل مثير للضحك حقا ٠٠ اذ كيف يمكن أن ينقضى هذا الردح الطويل من الزمان والاشكالية لازالت قائمة حول « الدهرية » مثلا والتى طرحت على صفحات « المقتطف » عندما أنشأه ، يعقوب صروف على اثر ازدهار ترجمة « أصل الأنواع » لدارون أو ما ترتب عليها من « علمانية » لا يتفق على لفظها العلماء أهى بكسر العين أو بفتحها ٠٠ ومناقشوها أشبه بركاب على سفينة يتجادلون فى ركوب البحر أهو حلال أم حرام ٠

---

(٢) من أعمال آلان روب جرييه : المتلصص ١٩٥٥ ـ الغيرة ١٩٥٧ ـ ذكريات من المثلث الذهبى ١٩٧٨ المرأة العائدة ١٩٨٥ ٠

من أعمال ناتالى ساروت : ردود أفعال بسيطة ١٩٣٢ ـ مارترو ـ ١٩٥٣ ٠ من أجل نعم من أجل لا ١٩٨٠ ٠

من أعمال كلود سيمون : تاريخ ١٩٦٧ ـ معركة فارسال ١٩٦٩ درس الأشياء ١٩٧٥ ـ خصلة شعر بيرنيس ١٩٨٤ ٠

وبين مرحلة الرواية الأولى ومرحلتها الأخيرة تكونت أجيال ثلاثة - او أربعة احيانا من منظورات نقدية أخرى - هى جيل الرواد وجيل الوسط والجيل الجديد ٠

وتجارب الجيلين السابقين تجارب مستفيدة من تجارب الرواية الغربية استفادة مباشرة ٠٠ فيما تضمنته أعمال جورجى زيدان ومحمود تيمور وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ وفتحى غانم مع عدد من معاصريهم ٠٠ من الوجوه الباقية فى عمر الرواية العربية الحديثة ٠٠ بينما تستفيد تجارب الجيل الجديد من تجارب متشابكة لا تفصح عنها كتاباتهم كثيرا ٠٠ يدخل فى دائرة الجديد جمال الغيطانى ومحمد يوسف القعيد واسماعيل ولى الدين وغيرهم ٠ على درجات متفاوتة فى المنظور المتعامل مع الواقع ٠٠

* * *

ولقد سعى هذا البحث ليكشف عن عناصر تكوين بنية « الرواية الجديدة » فى مصر ٠٠ وهى جديدة بكافة المقاييس التى تطرح القضية على بساط البحث ٠٠ سواء فى معيارها المضمونى أو معيارها الشكلى أو البنائى٠ والجدة ليست نابعة من اطار البناء كما قد يتبادر للذهن للوهلة الأولى ٠ ولكن الجدة نابعة من تغيرات الحركة الفكرية والتجريبية بصفة عامة ٠ التى تدخل فى تركيب البنية الفكرية للروائى ومن ثم الرواية ٠

فالرواية الجديدة نتاج « جيل الستينات » وقد يفهم خطأ أن هذه التسمية تتيح الفرصة لتسميات مشابهة فى جيل السبعينات أو الثمانينات أو نحو ذلك ٠ ولكن الحقيقة أن تسمية « جيل الستينات » بهذا الاسم يقتصر عليه وحده ٠ ولا يصح أن يتشبه به لا لشىء الا لأن عقد الستينات عقد فريد بين عقود القرن العشرين على المستويين المحلى والعالمى فهو العصر الفصل بين مرحلتين تاريخيتين على المستويين المحلى والعالمى ٠٠ تغيرت فيه موازين القوى بين قوى العالم ٠٠ وتغيرت سياسات متعددة ٠٠ وتحركت فيه مكامن ثورات سياسية وفكرية فى أرجاء العالم جميعا فى الشرق والغرب ، فى أمريكا اللاتينية وآسيا وأفريقيا ٠٠ وانحسر المد الاستعمارى العسكرى بشكله القديم لتبدأ دوائر للنفوذ فى الشرق والغرب تستقطب دول العالم لتشركها قسرا فى أغلب الأحوال فى دوائر فلكها الفكرى والاقتصادى والثقافى وبالتالى الحضارى ٠٠ ويتوزع

العالم فى مصالحه بين الشرق والغرب ليصبح مع الوقت مشدودا الى فلك جانبية احدى القوتين ٠٠ وهو ما لم يكن على هذه الصورة قبل الستينات٠٠ فالدوائر السابقة كانت أكثر تعددا ٠ ونتيجة لهذا المتغير المركزى فى أهواء العالم وتبعياته لم تعد « عقائده » تقلق أحدا ٠ بعد أن تفككت روابط المجتمعات الاسلامية ونجحت القوى الكبرى فى ذلك فأصبح نصف العالم الاسلامى يدور فى مصالحه مع الشرق ونصفه الآخر يدور فى مصالحه مع الغرب رضى الطرفان بذلك أو لم يرضوا ٠٠ والشرق والغرب مختلفان ظاهريا ولكنهما متفقان خفية على عدم تعريض مصالحهما للاصطدام ٠

فى هذا المعترك نشأ جيل الستينيات ٠٠ أى أنه الجيل الشاهد على عصر التغير الجذرى فى بنية العالم السياسية والفكرية والثقافية ٠٠ ومن ثم الاجتماعية ٠ ولأنه كذلك فلقد ارتطم بعديد من التجارب لم يشهدها الجيل الذى سبق ، ولن يشهدها جيل من بعد الا بعد فترة يعلم الله وحده مداها عندما تكتشف القوتان الاعظم ضرورة تغيير السياسات ومراكز الثقل فى العالم ٠٠ متى وكيف هذا ما لا يمكن التنبؤ به على أية صورة من الصور ٠

وهو جيل نشأ متعرفا على ثقافات كثيرة فى لغاتها أو مترجمة الى العربية٠ فى فترة ازدهار ثقافى متنوع سبقت فترة ازدهار من نوع آخر عندما تغلب الاتجاه فى مجال الدواجن الفاسدة على مجريات الاحوال وأغلقت المجلات الثقافية الكثيرة التى كانت تجتذب جمهور المثقفين ، وافتتحت « منافذ التوزيع السلعى» لملء المعدات فانفض المولد الثقافى وأتخمت المعدات وتهرأت المعطيات الثقافية، فطفا على السفح الهزيل والغث وانحازت لجان الجوائز على كل المستويات للانتاج الأدبى المشجع على رواج سلعى ٠ دون المعبر عن حركة المجتمع التى تخفيها الوسائل الاعلامية الموجهة بكافة الوسائل (٣) ٠

وهو جيل تعس لأنه جيل متهم ٠٠ والاتهام نابع من تسميته « بجيل الستينيات » التى استقرت فى أذهان البعض على أنه الجيل المتكون فى ولائه لسياسة الستينات ، ولأن الاشتراكية كانت المحور السياسى والاقتصادى

---

(٣) هذه ظاهرة عالمية حتى فى أكثر الدول تقدما ٠ راجع أشهر روايات العصر : Rich man, Poor man. Irwin Shaw.

فى هذه الفترة فهو جيل متهم « بالاشتراكية » والغريب حقا أن تصبح الاشتراكية اتهاما ، والغريب حقا أن تقترن الاشتراكية بالالحاد ·· فى جهل مفحش ليس هناك مثال مثله ليدل على مدى تهرؤ المعطيات الثقافية المعاشة ·· والكل ينسى أن التكافل الاجتماعى الاسلامى نظام أمثل لمن لايريد استخدام كلمة «الاشتراكية» العربية الاصل من شارك يشارك ولكن قوى الاستغلال هى التى انسدت هذا المفهوم حفاظا على مصالحها ·· فلا شك أن الاشتراكية عدو لدود لاستغلال الجماهير وتسخيرهم لخدمة أغراض القوى الاستغلالية الناشبة باظفارها فى المجتمعات الفقيرة · فالاشتراكية صنو للعدالة الاجتماعية وعدالة توزيع الدخل القومى وضمان الحرية الاجتماعية فى التعليم والعلاج والعمل والتأمينات الاجتماعية ·· وهى لا ترفض الدين على الاطلاق ·· ولا يمكن لها أن تفعل ذلك لأنها تحقق العدل والحق والخير الذى تدعو له الأديان جميعا (٤) ·

ولقد أصبحت سمة الجهل العام الغالبة أن تمتزج الاشتراكية باليسارية بالشيوعية ·· وأصبح كل من هو غير يمينى كافرا ·· لأنه سيكون يساريا ومن ثم اشتراكيا وعلى ذلك فهو شيوعى وملحد بالتبعية وكافر ·· فأنت مطالب بأن تكون انفتاحيا يمينيا منافقا معطل الفكر لا تعترض على شىء فى أى مجال حتى يرضى الجميع عنك ولا تتهم بالكفر الصراح (٥) ·

جيل الستينات تعس لهذا السبب ·· وهل هناك مجلبة للتعاسة اكثر من أن يفهم الانسان على غير ما هو عليه فى الحقيقة ·· ليصبح غريبا بين لداته وعشيرته ·· وها هو ذا يشارف على الخمسين ولا زال بعيدا عن دائرة الضوء ·· وبعيدا عن دائرة اهتمام النقاد والمشتغلين به · بل انك تجد تجاهلا صريحا من الناشرين للكثرة الكثيرة منهم فيلجأون الى الطباعة « الماستر » حتى تتاح لهم فرصة هنا أو هناك لنشر انتاجهم الأدبى ·

وهو جيل يتمكن من فنين هما فن الرواية وفن القصة القصيرة ويكون

---

(٤)هناك دراسة هامة للدكتور مصطفى السباعى صدرت فى أواسط الستينات تحمل عنوان « اشتراكية الاسلام » ·

(٥) ليست المقولة محلية ، ولكنها انعكاسة عالمية ·

ظاهرة جديدة محتوى وبناء ·· لا تجدها فى الشعر ·· ولا تجدها بذات الدرجة فى المسرح ·· على الرغم من المعطى المسرحى الثائر المتجدد ·

ففى مجال الرواية والقصة القصيرة نجد أسماء جمال الغيطانى ومحمد يوسف القعيد واسماعيل ولى الدين ويحى الطاهر عبد الله وصنع الله ابراهيم ومجيد طوبيا وابراهيم عبد المجيد ·· ينشرون أوائل أعمالهم فى الستينات · ويواصلون العطاء الى اليوم (عدا يحى الطاهر عبد الله يرحمه الله) · بل ان أعمالهم تتصدر الساحة فنيا وتكوينيا ·· يجمع بينهم شعور حاد بالاغتراب فى عالم الانفتاح ·

وتجربة جيل الستينات تجربة اجتماعية وتاريخية مستمدة من حركة المد الثورى محليا وعالميا فى عقد الستينات ، وهى تجربة لغوية مستفيدة من حركة الثورة على نمطية الأداء وتهرؤ معطيات لم تعد تتلاءم مع المتغير الجديد ·· وهى تجربة فى مجال المذاهب الأدبية لا تتحدد لها هوية شكلية واقعية أو رومانسية أو رمزية أو تجريدية ، وانما هى تجربة مازجة بين هذه الأداءات المذهبية جميعا · وهى تجربة تقدمية على الرغم من ارتباط هذه الكلمة « باليسارية » وكأن الجميع لا يسعون الى التقدم ولكن الى التأخر · ويبدو أن اليسارية قد نجحت فى الاستحواذ على كافة المصطلحات النقدية والاجتماعية وتركت المصطلحات الفارغة غير ذات الدلالة لليمينية تدور فى فلكها متهرئة داخلها والأولى تنظر اليها بسخرية تخرج لسانها هزءا ·· وانسقنا نحن وراء هذا الارهاب الفكرى مستسلمين « لمكارثيته » (٦) ·

وتجربة جيل الستينات تجربة « مصرية » تغرق فى مصريتها وهذه تناقضية ظاهرة ذلك أن النشأة والتفتح كان على « العروبة » ودعواتها القومية ·· وهى تجربة مصرية لا ترضى الكثرة ذلك أن الكثيرين يظنونها دعوة فرعونية !! وكأننا لابد وأن ننسلخ عن تاريخنا وحضارتنا وننتسب قسرا لقوم ينكروننا · أهناك مانع من أن نكون « مصريين مسلمين » أو « مصريين

---

(٦) الاشكالية الحقيقية تقبع فى اعتقاد البعض بأننا كمسلمين يجب أن نكون من « أهل اليمين » وهذا قصور خاطىء لمفهوم اليمينية Rightism واليسارية Leftism فى الفكر السياسى المعاصر ·· فالأولى تعنى الجمود والرجعية والتخلف ولا علاقة لها بالمعنى الاسلامى ·

مسيحيين » ننتمى لرقعة العروبة الحضارية والتاريخية والعقائدية ·· وهى اشكالية تثير عدة اشكاليات اذا ما طرحت بصراحة على بساط البحث ·

وجيل الستينات هو الجيل أيضا المتأثر مباشرة فى صدمات متتالية متفاوتة الدرجات بهزيمة يونيو ١٩٦٧ وحرب أكتوبر ١٩٧٣ وما بينها من حروب استنزاف كانت ثمارها استسلامية ما بعد ١٩٧٣ · والرضا بالأمر الواقع واكتشاف القيادة السياسية لحقائق المتغير العالمى الذى لابد من مواجهته بالحكمة وليس بالعنف ·· اذ أن العنف فضلا عن أنه لم يعد اللغة المثلى للعصر بعد سياسة الوفاق السوفيتى الأمريكى ، فهو لا يحقق الاهداف المرجوة لأية أمة من الأمم ·· وهذه قوة الاستعمار الجديد التى لابد من الاعتراف بها على كافة المستويات ·

وتزداد تعاسة هذا الجيل عندما ينضج فى فترة انحسار الدور الثقافى لا محليا فقط ولكن عالميا ·· ولا تقبل وسائل الاعلام المختلفة على انتاجه لأنه انتاج صادق يعبر عن حقيقة بل حقائق لا يريد أن يواجهها أحد · وتوجهت وسائل الاعلام للمصفقين والمهللين وأنصاف المثقفين والاميين من الأساتذة والكتاب الذين ينتفخون وتنتفخ أوداجهم خيلاء وكبرا ·· بعد عمل أو عملين لا يغنيان من جوع ثم يشيعون أن الأمر ليس أمر « كم » ولكنه امر « كيف » وهم يوهمون بذلك أنهم لا يكتبون الا « حكما » ·

ودخل عالم الابداع كل من يستطيع الوصول الى « عالم الاعلام » ونكبت الحياة الثقافية بالمتشدقين فى كل مجال عن غير علم أو معرفة بشىء فلا تكاد تحدثهم فى شىء حتى تنفتح الأفواه بشده غريب يوحى بالأمية المفحشة التى يعيشونها كانعكاس « لعقد الأمية » الكبير الذى نعيشه على المستويين المحلى والعالمى · ووصلت هذه الآفة الى طلاب الجامعات وطلاب الدراسات العليا بها والى الصحافة كذلك ·· الذين يقرأون ثم يتكئون ويصدرون احكامهم التى ادناها « ليس الكم هو المهم » ·· وأقصاها «الاتهام بالاقتباس» ممن ·· وكيف ؟؟ ·· لا أحد يدرى ·

ومن أهم ظواهر هذه الحالة من الأمية ـ التدهور الخطير الذى صاحب « عمليات التفكير » فى كل مجال ·· وما ينتج عنه من تخبط كاد يودى «بالهوية الثقافية » على كافة المستويات ، مما أدى الى الانحدار نحو ترويج بعض

الأفكار غير ذات التواصل مع الأصول الثقافية المحلية من ناحية ، وتقليد الأنماط الشرقية أو الغربية فى الموسيقى والغناء والرقص الشعبى أو غير الشعبى والمسرح والسينما والفنون التشكيلية المختلفة دون فرصة واحدة لتعميق الثقافات الوافدة ليتضح ما يفيد منها ومالا يفيد · وقد وصل هذا المعنى الى فنون الأدب فانتكس الشعر حتى المسرحى منه ، وتعثرت خطى النقد عندما دخل ساحته كل من يعرف القراءة والكتابة ·· وتهرأت معطيات الثقافة والابداع ·· ولم يعد أحد يتابع انتاج الفكر الحديث أولا بأول الاعدد قليل جدا ·· وشغل الجميع بظواهر الانفتاح السلعى الاستهلاكى وجهت بعض الصحف أسئلة لكبار الكتاب والدارسين بمناسبة انتهاء العام الميلادى ١٩٨٦ حول أهم انتاج صدر عام ١٩٨٦ · فكاد يجمع الكل على أنه كتاب «ملفات السويس» لمحمد حسنين هيكل ·· وفجأة طرأ على الذهن طارىء خبيث ·· وهو لم هذا الكتاب بالذات ؟ على الرغم من أن العام الذى سبقه وماقبله شهد صدور مؤلفات كثيرة لهيكل مترجمة الى العربية بعد صدورها بالانجليزية ·· وكان الخاطر الخبيث هو أن الكثرة التى طالعته لم تطالعه كتابا ·· بل أشك فى أنها اقتنته كتابا ·· ولكنها طالعت بعض فصوله التى نشرتها الأهرام ·· مطالعة قارىء الصحيفة الأسبوعية فى لحظات الاسترخاء التى لايجد فيها شيئا يشغله ·· خاصة وأن الفترة الزمنية بين صدور الكتاب فى نوفمبر تقريبا وبين الاستفتاء كانت أقصر من أن يسارع أحد باقتنائه والتفرغ لقراءته ثم الحكم عليه ·· وكم كان هذا دليلا كافيا للحكم — ولو جزئيا — على نوعية التوجه الثقافى والفكرى فى الآونة الأخيرة ·

وفى خضم هذا كله أغلقت مجلات أدبية ، وافتتحت أخرى استقطبت عددا من « الكتاب » أغلبهم « كتبة » وتعالت على « جيل الستينات » ظنا جهلا — كما سبق أن أشرت — أنهم جيل « يهتف » للستينات ·· ولذلك فقد كان عليهم أن ينحتوا الصخور ·· وأن يتقبلوا على مضض اتهاما بمذهبية لونية ·· وواصل بعضهم حتى وصل الى نهاية الثمانينات وصمت البعض ·

* * *

وهذه دراسة مقدمة لقراءة بعض نصوص روائى « جيل الستينات » ، هدفها الكشف عن عناصر « الجدة » فى الرواية الجديدة التى كان لهم فضل

اضافتها على التراث العربى الحديث دون منازع (أنظر فيما كتب بالعربية حول الرواية الجديدة Le Nouveaux Roman فى الأدب الفرنسى للأستاذة الدكتورة سامية أحمد أسعد • والرواية الفرنسية الجديدة • لنهاد التكرلى • جزآن • الموسوعة الصغيرة • دار الحرية للطباعة بغداد • ونحو رواية جديدة لآلان روب جرييه • دار المعارف بمصر) (٧) •

وسوف تعمد هذه الدراسة الى محاولة اكتشاف عناصر التكوين البنائى لبعض الأعمال الروائية لهذا الجيل •• وهى لهذا لاتستعين بدراسات نقدية سابقة •• ولن تناقش آراء أخرى • وان كانت ستشير الى بعض تلك المحاولات •• هذا من منطلق ايمانها بأن اكتشاف « عناصر التكوين البنائى » يجب أن يتعامل مع النص « مجردا » من أية تأثيرات قد لاتنبىء عن المحتوى الداخلى للنص •

وقد يكون من الملائم عرض النقاط الأساسية التى سيحاول هذا البحث الكشف عنها فى « نماذج الرواية الجديدة فى مصر » • ليعين على تفهم أبعاد الرؤية الناقدة • وتشمل هذه النقاط الأساسية محورا المحتوى والشكل الفنى • من خلال : **الرؤية والمحتوى :** كعنصر رئيسى لايسعى للتعرف على موضوع الرواية أو حكايتها بقدر مايسعى للكشف عن العناصر المكونة لفكر الكاتب والتى لم يصرح بها بالاضافة الى ماصرح به •• بمعنى أن هذا المحور سوف يكتشف أو يسعى لاكتشاف عناصر المؤثر المعنوى الملح على فكر الكتاب والذى قد يختفى وراء جمله وحوار ياته • وننتقل الى عنصر **العلاقات الزمانية والمكانية :** فعلى الرغم من لجوء الكتاب أحيانا الى أزمنة وأمكنة متنوعة الا أن العلاقة بين الزمان والمكان علاقة وطيدة يمكن أن تكشف عن عناصر التكوين الفكرى والرؤية المتنوعة عند الكاتب • ذلك أيضا من خلال احتمالية **تنوع المكان • وتنوع الزمان • وعلاقتهما بالأشخاص •**

ولقد سبق أن أشرت فى موضع آخر الى أن النص كلام مقول فى المقام الأول ومن هنا كانت مفرداته هى المعيار الأمثل لاكتشاف عناصر التكوين

---

(٧) موجة الرواية الجديدة لم تشغل الكتاب الروائيين فحسب بل شغلت أيضا السنيما الفرنسية وقد يكون من أعلام هذه الموجه من المخرجين الفرنسيين « كلود ليلوش » •

الأولى فيه ٠٠ هذا على اعتبار ا نالمحاولة الأولى للكتابة تعتمد على قدر كبير من المخزون اللغوى فى اللاوعى ، ربما تتبعها مرحلة ثانية تنقيحية واعية ، ولكن سيبقى أن المفرد اللغوى الأصلى لم يخرج من معجم الكاتب الواعى ٠ ومن هنا كانت قيمته فى اكتشاف العالم النفسى للكتاب وليس المفرد اللغوى مجردا هو مناط الاكتشاف ، ولكن تتبلور الأفكار من محاولات اكتشاف عناصر التناسق بين المفردات ، ونوعية الكاتب المطروق لغته فى ناحية منها وليس كل النواحى ٠ ولأن الكاتب يحاول دائما اخفاء جزء من عناصر تكوينه النفس ٠ فان الناقد - باعتباره منتميا لذات بيئة الكاتب - يتحرج من الكشف أحيانا عما قد يكتشفه - ترجيحا - من خلال النص ٠ ويرى فيه حرجا للكاتب والمجتمع على السواء ٠

وبهذه المناسبة فان « الرواية الجديدة » - فى استخدامها المتميز للغة - أكثر ثراء فيما يتعلق بمحاولات التفسير والاكتشاف ، هذا بحكم استفادتها بدرجات متفاوتة من تيار الشعور الذى ساد الرواية الغربية فترة خاصة عند جيمس جويس وفرجينيا وولف ٠ فلغتها **أكثر كثافة** ٠٠ وأقرب الى درجات الشعرية المعتمة ٠

ويبقى من عناصر التكوين البنائى التى يسعى هذا البحث لاكتشافها عنصر **الظواهر الشكلية** من حيث حجم الرواية ودلالة ذلك ثم الفصول أوالأقسام ومايتعلق بالعناوين أو الأرقام أو الوقفات العامة أو الخاصة أو دلالة البلاغة الجديدة New Rhetoric ٠

وقد يكون من المناسب كذلك محاولة وضع « الرواية الجديدة » موضعها فى حركة الرواية العربية الحديثة فى مصر ٠٠ من زاوية رؤية خاصة ٠ تحاول اكتشاف موقعها بين عوالم الرواية الغربية بدءا من دون كيشوت حتى جارسيا ماركيز من ناحية وفرانسواز ساجان من ناحية أخرى وكلاهما ناحية لاتلاقى الأخرى بأى حال من الأحوال ٠

الرواية العربية الحديثة فى مصر هى - من حيث الكم والكيف على السواء - رائدة الرواية العربية فى العالم العربى جميعا ، ان لم يكن فى الشرق العربى والافريقى ٠٠ ولا أغالى اذا قلت أنها رائدة بين كتابات دول العالم

الثالث • وعلى الرغم من قصر عمرها الذى لايزيد على مائة عام فقد استطاعت أن تقدم تجارب متعددة شكلا ومضمونا • فظهرت فيها التيارات الرومانسية الخالصة (السباعى - عبد الحليم عبد الله - أبو حديد - الجارم) ورمانسية واقعية (الحكيم - يحى حقى - باكثير) • وواقعية خالصة (نجيب محفوظ - الشرقاوى - ابراهيم عبد الحليم) • وتجريبية عند جيل الشباب • وطالت لتشمل خمسة مجلدات (الساقية لعبد المنعم الصاوى) وقصرت لتصبح فى حجم القصة القصيرة (قنديل أم هاشم) ورويت على لسان واحد (الأيام - يوميات نائب فى الأرياف -) وعلى اكثر من لسان (ميرامار - الرجل الذى فقد ظله) وانتقلت بين الريف (غصن الزيتون - الأرض - الساقية) والمدينة (روايات نجيب محفوظ جميعا) • واشتملت على شخصيات من كافة الطبقات الاجتماعية من فلاحين وعمال وموظفين وتجار •• وطلاب وطالبات وفتيات وزوجات وبنات ليل وبنات نهار • وساسة دجالين وأفاقين وشواذ ومرابين ومستغلين ورجال دين - صورتهم بصدق أحيانا وبغير صدق فى أحيان اكثر • آمنت بالثورة حينا وهتفت لها أحيانا • زعمت شيئا وأخفت اشياء • ولكنها فى كل الأحوال صادقة فى تجريبها •

ولقد تنوعت هوية كتابها من حيث الولاء لها أو عدم الولاء كلية •• فرائد تجريبها الأول جورجى زيدان (توفى ١٩١٤) على الرغم من توفره فى مجال الفن عليها لم « ينحرف » الى سواها - المسرحية أو القصة القصيرة - الا أنه كتب المقال والدراسات التاريخية والأدبية المتنوعة •• وكذلك نجد مجربيها الأول يجمعون بين الرواية والقصة القصيرة (يحى حقى ومحمد السباعى وهيكل ونجيب محفوظ) بل بين الرواية والقصة القصيرة والمسرحية (محمد تيمور - توفيق الحكيم - محمود تيمور - وغيرهم) ثم ينسحب ذلك على التجارب التالية على تجارب الرواد عند مصطفى محمود ويوسف ادريس ويوسف السباعى واحسان عبد القدوس •• وغيرهم •• ويصل الى الجديد فى هذا المجال عند جمال الغيطانى وابراهيم عبد المجيد وأحمد الشيخ ومحمد يوسف القعيد وابراهيم اصلان وصنع الله ابراهيم وغيرهم • وبمعنى آخر فان ترسبات بعض التجارب القصصية السابقة قد ظهرت فى الجيل الجديد رغم تنوع التجارب

الجديدة واختلافها (٨) ٠

وفى مجال **الملاحظات الأولية** قبل خوض عالم النص الروائى الجديد يطرأ خاطر على الذهن يتعلق بنوع المضمون الجديد ٠٠ والذى يكاد يتمحور فى خاصية عامة وهى « نقد الواقع الاجتماعى » بما يحتويه من واقع اقتصادى وسياسى وتاريخى وفكرى وثقافى وتجريبى فى المقام الأول ٠ وليست هذه الهوية بجديدة على تاريخ الرواية العالمية فى انجلترا أو فرنسا أو روسيا على وجه التحديد ، وليست كذلك على تاريخ الرواية المحلية فى مصر ٠٠ ولكن الجديد هو « نضج » عيوب الهيئة الاجتماعية ٠٠ وهى ليست سمة محلية كما قد يظن المتلقى ، ولكنها سمة عالمية ٠٠ بدءا من باسترناك « دكتور زيفاجو » وحتى سولجنتسن مرورا بنابوكوف وشولوخوف وغيرهم فى روسيا ٠ والكس هيلى صاحب « جذور » Roots واروين شو صاحب الغنى البائس Rich man, Poor man وغيرهما فى أمريكا ٠٠ ومن نحا نحوهم فى فرنسا وانجلترا فضلا عن جارثيا ماركيز فى أمريكا اللاتينية ٠

والغريب فى مثل هذه الروايات أنها تكشف العيوب الجذرية فى بنية المجتمعات الشرقية والغربية ، بل فى تركيبة الهيئة السياسية الحاكمة ٠٠ وتكشف أحيانا عن بعض أسرار الهيئتين ٠٠ وربما تتحرك بعض الجهات المسئولة ٠٠ ولكن ليس بالدرجة الكافية التى تمنع « الفضائح » وكأنها تريد لبعض الفضائح أن تنشر ٠ وربما تحقق من ورائها بعض المكاسب على الصعيدين السياسى والعالمى ٠ بل ان السلطات أحيانا تساعد على تكوين اللغز وراء الأحداث ٠٠ فاذا كانت الروسيا لاتريد « لدكتور زيفاجو » أن تتسلل من بين ثنايا الستار الحديدى لاستطاعت ، ولكنها لم تنجح فى التسلل الا لأنها تريد خفية أن تسمح لها بذلك ٠ وهى نفس السلطات التى لازالت تحول دون خروج « زخاراف » العالم الروس وتنفيه سبع سنوات بعيدا عن « موسكو » الى « جوركى » (١)

---

(٨) هناك العديد من الدراسات أما حول قضايا قصصية أو حول شخصيات نشرت جميعا جلال العقدين الآخيرين اللذين شهدا تطور كبيرا فى مجال الدراسات التى تتناول القصص بصفة عامة ٠ حتى احتلت المرتبة الأولى بين الدراسات الأدبية بعامة ٠

(٩) أفرج عنه أخيرا مع الحركة الانفتاحية التى تعيشها الروسيا الآن ٠ بل وسمح بنشر صحيفة معارضة ٠

ولكنها تسمح لسولجنتسن بالخروج والاستقرار فى سويسرا ٠٠ ربما لأن الأخير أديب لايحمل أسرارا علمية يمكن البوح بها لأحد ٠ ومعنى هذا أنها كانت تستطيع المنع لو أرادت ، ولكنها تجنى من وراء هؤلاء الكتاب سمعة ترويجية لنظام الحكم هناك ، يؤدى الى نتائج ايجابية فى ذاتها ٠ ومن ناحية أخرى ألا يبدو غريبا أن يظل سر مقتل أكبر رئيس دولة فى العالم ٠ « جون كيندى » مجهولا حتى اليوم ٠٠ لأن السلطة تريد ذلك ٠٠ فلو أرادت منع كتابها من خوض عالم « جذور » أو نحوه لاستطاعت وهناك العديد من الوسائل التى تلجأ اليها وهى فعالة ٠٠ ولكن لاترى مانعا من اباحة هذا النوع من « الفضح » كوسيلة لامتصاص المشاعر العدائية التى استشرت فى المجتمعات الغربية فى الآونة الأخيرة ٠

ولقد انتقلت هذه الظاهرة الى الرواية العربية ، والقصص القصير كذلك ٠ بل لقد امتدت الى الأفلام السينمائية والمسلسلات الاذاعية والتلفزيونية ٠ وكان المسئول عن ظواهر الفساد فى المجتمعات غير موجود ٠ اذ أن الجميع يستجيب لمضمون هذه الأعمال ، والجميع مسئول بدرجة أو أخرى عن ظواهر الفساد أما بالمشاركة أو بالفعل أو بالصمت والسلبية ومن هنا فهذا النوع من الكتابة يمتص غضب البعض ويسقط عن البعض الآخر الاحساس بالذنب ٠

ولقد نهج كتاب الرواية فى بداية القرن العشرين نحو « كشف معايب الهيئة الاجتماعية » بهدف اصلاحها ٠ وقد تعاملوا مع قضايا الواقع الاجتماعى مباشرة٠ عيوب السفور ٠ عيوب البنات ٠ عيوب الاختلاط ٠ معايب الطلاق وتعدد الزوجات ، أضرار ادمان الخمر ولعب القمار ٠٠ ونحو ذلك من قضايا لايخلو منها مجتمع من المجتمعات البشرية شرقية أو غربية ٠ وظل التعامل يقترب أحيانا كثيرة من الواقع الاجتماعى ولكن لايعريه تماما حتى أكثر الروايات تعاملا مع الواقع المعيش عند نجيب محفوظ مثلا استخدمت وسائل متعددة أكثر كثافة من أن تدل مباشرة على المعنى المراد ٠٠ خاصة فيما يتصل بالروايات التى ظهرت بعد هزيمة ١٩٦٧ ٠

والسبب الخطير وراء موقف الكتاب العرب من مجتمعاتهم أنهم يرون من حولهم لايفقهون فى الأدب كثيرا وقد وصل الداء ليصيب المثقفين ٠٠ أيتخيل أحد أن عدد النسخ التى تطبع لروائى كبير مثل نجيب محفوظ لاتزيد على خمسة آلاف نسخة توزع على مايزيد على مائة مليون عربى بالاضافة الى الذين يتحدثون

العربية خارج الوطن العربى ٠٠ فلو أن عشرة فى المائة من هؤلاء مثقفون وان عشرة فى المائة من المثقفين يهتمون بالأدب ألم يكن من المنتظر أن يتم طبع مليون نسخة من أية رواية لروائى كبير كنجيب محفوظ ؟ ٠ لهذا السبب يشعر الأدباء أنهم يخاطبون قلة محدودة جدا من القراء المثقفين ٠٠ وأكثر الروائيين الجدد لايطبع من روايته أكثر من ألف نسخة توزع على عدد من السنين يصبح عائده منها لاشىء اذا كان لها عائد ٠ هذا فضلا عن أن أكثرية كتاب الرواية والقصة عندنا يوظفون فى دواوين الحكومة يتقاضون دراهم قليلة لاتسعد أحدا ويظل الشعور السائد لديهم أنهم لايؤدون دورا هاما من أى نوع ٠٠ على الرغم من خطأ هذا الشعور على المدى البعيد ٠٠ ولكن ماذا يفيدهم المدى البعيد ٠٠ لقد خلف همنجواى عدة ملايين لورثته ، وحقق الكس هيلى مليونه الأول من روايته ذائعة الصيت « جذور » بعد طباعتها لا بعد تحويلها لعمل تلفزيونى ٠ وهذا مؤشر مادى فعال اذا ما أردنا الكشف عن عناصر التأثير فى الابداع الروائى الجديد ٠ والتحديات التى تواجه الكاتب فى كافة الاتجاهات ليحظى ببعض التقدير الذى لايحصل على قدر معنوى منه لامادى ٠

اليس من الضرورى وضع اليد مباشرة على أكثر العوامل المؤثرة فى مضمون الرواية الجديدة فعالية بدلا من الدوران حولها ٠٠ والتعامل مع عناصرها المكملة على أنها الأساس ٠ خاصة ونحن نعلم أن عناصر التأثير الجديد لم تكن من ذات النوعية مع جيل سبق ، أو ربما نستطيع القول أن بعض كتاب الرواية يرون أن هذا الفن يجب أن يعتمد على « الخيال » كلية ، ومن ثم « الاختراع » فنجد كاتبا كبيرا الآن ـ فى السن والحجم والمنصب ـ يتصور انه بخياله البارع يستطيع أن يخوض أية تجربة دون أن يخرج عن نطاق حجرة مكتبه ، وهو يركز بصفة خاصة على الفلاحين ردا على اتهام له « بالأرستقراطية » وقد تصور خطأ أن مجرد الكتابة عن حياة الفلاحين قد تجعله واحدا منهم ٠ ولكن ينسى أن معرفة التجربة شىء ، وخوض تفاصيلها والتعامل معها وداخلها شىء آخر ٠٠ ولذلك فقد بدا « أرستقراطيا يكتب عن الفلاحين » ليس الا ٠٠ وبالتالى بدت كتابته تسلك مسلك المغرمين « بالموضات » فى الأزياء فيشترون « الجلاليب » البلدية من بوتيكات الهيلتون لارتدائها كمظهر من مظاهر « المودة » ٠ ولقد كانت الكتابة عن « العمال والفلاحين » مودة من يريد الاقتراب من السلطة الحاكمة فى مصر فى وقت من الأوقات ٠

وعنصر التأثير الرئيسى فى الرواية المصرية الجديدة ، عنصر يصدم كتابها بما نشأوا عليه ·· فعلى الرغم من صدامهم مع واقعهم « الستينى » الا أنهم كانوا يأملون خيرا ، بينما واقعهم « السبعينى » لم يعطهم هذا الشعور ·· بل أنشبت المخاوف أظفارها فى أنفسهم وتحققوا من صدق الشعور ·· بعد تجربة السبعينات التى أطاحت بهم من مقدمة الحياة الى مؤخرتها ·· بل الى التعلق بأذيالها ·· وهذه تناقضية صدامية رئيسية بين العقدين فى ظواهر المتغير الحضارى كلية اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا ·

وقد يبدو من الملائم التوقف كذلك ـ فى مجال العروض المضمونية للحدث الروائى ـ عند ظواهر الحاجات المادية الضرورية للكتاب الروائيين ·· ومدى تعقد سبل تحقيقها ، وضرورة اللجوء لأساليب وحيل لايستطيعونها وان أرادوا، اذ أن التركيبة الثقافية تحول دون امكانية خوض هذه التجارب ·· ومن هنا كان من الضرورى الوقوف مع « الروائى » عند « بيئته » لمحاولة تفسيره « عمله » ·· قد يجد بعض الروائيين الجدد « سبيلا » لتخطى حاجز التقائه مع البيئة المعاصرة ·· مثل اسماعيل ولى الدين عندما وجدت بعض أعماله صدى جماهيريا من خلال السينما فى حمام الملاطيلى ، والأقمر ، والباطنية ، والسلخانة والعاشقان ، ومنزل العائلة المسمومة ·· وغيرها ·· وهو كاتب لايرى مانعا من أن يتعامل المخرج مع النص بلاوعى بمضمونه ، ولكن بوعى بمضمون « المطلوب » لنوعية مامن الجمهور ·· كما حدث مع نجيب محفوظ فى كثير من أعماله ·· خاصة الأعمال التى تتعامل مع « القاهرة المعزية » ·· وهو أيضا مانجده عند أسماعيل ولى الدين وجمال الغيطانى · وهو مايكاد يمثل ظاهرة عامة خلال هذه الفترة من عمر حياتنا الثقافية المعاصرة ·· تجد الظاهرة تمتد الى مجالات متعددة فى الآثار بترميم القاهرة المعزية واظهار معالمها المختلفة وتركيز الأضواء على ملامح هذا المجد القريب وفى الآداب بترجمة « وصف مصر » لزهير الشايب ·· وبموسوعة « شخصية مصر : دراسة فى عبقرية المكان » للدكتور جمال حمدان ·· وفى الفنون بظهور الفرق الشعبية الكثيرة فى الغناء والرقص ·· والتى تكاد تمثل كل محافظات مصر ·· وفى الفنون التشكيلية والنحت والمعمار وبناء المساجد ومايعرف باسم « الطراز العربى » ولا أظن أنه نسبة لبلاد العرب فى الجزيرة ولكن نسبة الى البلدان العربية المتأثرة بالفن التركى على وجه الخصوص

« فالأرابيسك والمشربيات والأسبلة والخانقاوات » ونحوها ليست آثارا عربية ولكن تركية أدخلها الأتراك بلاد العرب فاشتهرت بها • هذه المصرية المملوكية تشعر بأننا نلتقي مباشرة في عاداتنا وتقاليدنا بل وأزيائنا ومآكلنا اليها • وأن الصلة الوثقى هي بيننا الآن وبينه اوليس بين الفرعونية أو « العربية » •• ولقد تعلمنا في المدارس ولازال أبناؤنا يتعلمون أن العصر المملوكي والعثماني كان عصر انحطاط •• ولانلبث أن نكتشف أن القاهرة اذا ماتجردت من منشآتها « المملوكية والعثمانية » لايبقى بها شيء يذكر سوى الأهرام وأبي الهول •• واذا ماتجردت من موسوعات العصر المملوكي والعثماني لايبقى بها كثير يذكر في الآداب والمعارف المختلفة والمعاجم والمذاهب الفقهية والشعر • والنثر •• فهو لم يكن عصرا منحطا اذن •• بل كان عصرا اسلاميا مزدهرا لازالت أوقاف أثريائه شاهدة حتى اليوم على مدى الحرص على استمرارية عناصر النماء والازدهار والتقدم •• والذي يتمثل في غرامهم الشديد ببناء المساجد الشاهقة الارتفاع والمزدانة بأفخر أنواع الزخارف والثريات والرخام والأخشاب المقرنصات وغير المقرنصات والمنابر ونحوها •

•• ارتباط بعض كتاب الرواية الجديدة ببقايا هذه الفترة التاريخية نموذج مناقض للاتهام باليسارية من الطريف أن أحد النقاد اتهمهم « باليمنية المتطرفة » لهذا السبب وحده • وأنا لا أجد فيهم سوى حب مصر والولاء الشديد لها سواء سمي هذا يمينا أو يسارا فهو أمر يعنيهم كثيرا طالما يملكون أدوات الافصاح عن « المصرية » (١٠) •

* * *

ولقد تنوع « شكل الرواية الجديدة » طولا وقصرا •• نتيجة لتكاثف الحدث وتشابك الوقائع الحياتية اليومية محليا وعالميا ، ونتيجة لكثرة الوافد على الكاتب من معارف تشترك مصادر عدة في تزويده بها أهمها مصادر اعلامية ومعرفية • هذا فضلا عن المتغير العالمي الذي أثار ويثير العديد من الأسئلة والتساؤلات لدى الصغار والكبار على السواء •

---

(١) أنظر لاسماعيل ولي الدين (بيت القاضي) ولجمال الغيطاني رواياته المتعددة التي تدور أحداثها مستوحية (القاهرة المعزية) •

فمنذ « قنديل أم هشام » لم تعرف الرواية العربية الحديثة هذا الحجم الا مؤخرا ·· فقد ظلت حتى بداية السبعينيات مغرمة بالطول والاتساع فى اطارى الزمان والمكان ·· بل فى اتساع حجم الشخصيات أحيانا وتنوعها ·· بينما مالت الى التوسط بل والقصر أخيرا ربما لقصر نفس حركة الانسان فى الحياة ، والتسابق الشديد المسيطر على كافة أرجاء التعاملات المادية وغير المادية · وتميز بعض كتاب الرواية بالميل الى التركيز الشديد مثل أعمال اسماعيل ولى الدين جميعا · ففيما عدا ثلاثيته الأولى الأقمر وحمام الملاطيلى وحمص أخضر التى ظهرت فى بداية السبعينيات (ظهرت حمام الملاطيلى سنة ١٩٧٠ والأقمر ١٩٧٢ وحمص أخضر ١٩٧٣) · فان حجم رواياته يصل أحيانا الى عشرات الصفحات (الباطنية مثلا أو بيت القاضى ونحوها) · بينما تراوح حجم الرواية الجديدة بصفة عامة بين مائة ومائتى صفحة من القطع التوسط · (انظر فى الأسبوع سبعة أيام ليوسف القعيد · ٩٥ صفحة، ومحاكمة فى منتصف الليل لمحمد جلال ١٢٢ صفحة · وحب فى كوبنهاجن له ايضا ١١٩ صفحة · وقدر الغرف المقبضة لعبد الحكيم قاسم ١٥٠ صفحة، وغيرها) · وتنوعت أشكال الداخل من فصول الى أقسام الى أرقام الى نقاط انتقالية بغير عنوان الى غير ذلك من ظواهر دلالية يمكن تفسير مدلولها اتساقا مع المضمون الشكلى للرواية ·

وهنا لابد من وقفة مستقصية الى حد ما بعض أسماء أعلام « الرواية الجديدة » فى مصر ولابد من الاعتراف ضمنا أن الدراسة الأكاديمية فى مجال الأدب لا يمكن أن تتجرد من الذوق الفنى الخاص ·· لتقدم تفسيرا علميا تطبيقيا جامدا ، بل لابد لها من احترام الذوق الشخصى للناقد الذى ربما يتدخل ـ وهو لابد فاعل ـ فى الاختيارات الأولية ، ومن ثم فى الأحكام النهائية ·· ولهذا فأنا أذكر ممن تعاملت بدرجة أو أخرى مع أعمالهم كلا من : ابراهيم عبد المجيد · أحمد الشيخ · اسماعيل ولى الدين · جمال الغيطانى · حسن محسب · خيرى شلبى · صبرى موسى · صنع الله ابراهيم ·

ضياء الشرقاوى • فؤاد حجازى • مجيد طوبيا • محمد البساطى • محمد جلال • محمد يوسف القعيد • يحى الطاهر عبد الله • وهم يتعاملون مع فنى الرواية والقصة القصيرة كما ان بعضهم يتعامل مع المقال الفنى ، ويمثل نموذجا للمقال الحديث فى ابعاده المختلفة •• وهم يشارفون الخمسين أو يقتربون منها •• هم بالاضافة الى ذلك مصريون يقطرون مصرية •

وقد كنت عزمت على اكتشاف عناصر « الجدة » فى نتاجهم من منظور شمولى لأهم اعمالهم ، والوقوف عند عناصر التكوين المتشابهة التى تجعل تكويناتهم تناظرية ، ولكنى وجدت أن أكثرهم لم يتم التعرف عليه بعد •• وأن ماكتب لا يتجاوز الصفحات القليلة التى لا تضيف كثيرا •• فرأيت أن التعامل مع بعضهم تعاملا فرديا قد يكون أجدى •• وأن هذا التعامل الفردى قد يتيح الفرصة لهدفين الأول التعرف على بعضهم عن قرب ، والثانى اكتشاف العناصر المشتركة بين هذا البعض والتى يمكن أن تعين على اكتشاف الظاهرة •

وعلى كل حال فهو جهد أول لابد وأن يتبع بجهد تال ••

* * *

ملحوظـــات وهـــوامش :

● هناك عدد من الفهارس المفيدة فى مجال رصد حركة التأليف الروائى فى مصر خلال الفترة من بداية الستينات حتى نهاية السبعينات • منها : فهارس دار الكتب المصرية • سواء وفقـا لترتيب أسماء المؤلفين ، أو ترتيب الروايات• ومنها الفهرس الشامل الذى أعده الدكتور صبرى حافظ • على جزأين • الجزء الأول نشره بمجلة الكتاب العربى العـدد ٥٠ يوليو ١٩٧٠ • حـــول الرواية المصرية فى مائة عام تنتهى سنة ١٩٧٠ ، والجزء الثانى • يختص بالفترة بين ١٩٧٠ و ١٩٨٠ ونشره بمجلة فصول التى تصدر عن الهيئـــة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة المجلد الثانى العدد الثانى يناير • فـبراير – مارس ١٩٨٢ •

● قامت بعض دور النشر فىالقاهرة بالمساهمة فى نشر الانتاج الروائى الجديد •• فبالاضافة الى الهيئة المصرية العامة للكتاب فى سلسلة قصص مختارة • هناك كتاب اليوم • وكتابات جديدة • والكتاب الماسى وروايات الهـلال • والابداع الروائى والقصص • فضلا عن الطبعات الأخرى لدور النشر الخاصـــة •

● ترجمت بعض أعمال كتاب الرواية الفرنسية الجديدة الى العربية أمثـال آلان روب جرييه ومارسيل بروست وكلود سيمون • وقـد تحدثت الأستاذة الدكتورة سامية أحمد أسعد عن هذه المدرسة فى كتابها بالعربيـة • « فى الأدب الفرنسى المعاصر » الذى صدر عن الهيئة المصرية العامة للـكتاب سنة ١٩٧٦ •

● أصدرت مجلة « فصول » التى تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة عددا من أعدادها يتمحور حول « الرواية وفـن القص » شملت عددا من الأبحاث حول الرواية الجديدة • واحتوت على ندوة بعنوان « مشكلة الابداع الروائى عند جيل الستينيات والسبعينيات اشترك فيها جمـال الغيطانى وصبرى موسى وصنع اللـه ابراهيم ويوسف القعيد •

● يتصور بعض القراء من الشباب أن هذا الجيل من صنع تجربة الستينيات الايجابية ، بينما تطلعنا كتاباتهم ومواقفهم على صدام مع تجربة الستينيات !!! • ومن هنا تبدو اشكالية أخرى فى التعامل مع انتاجهم وهو ما سنعرض لـه فى حينه من كل كاتب منهم نعرض لـه •

● قامت أكثر من جهة أجنبية بترجمة بعض الأعمال الروائية والقصصية الى اللغات الاجنبية الحية فترجمت بعض أعمال الغيطانى ويوسف القعيد للفرنسية • ومجيد طوبيا للانجليزية • كما اهتم عدد من الباحثين بدراسة أعمال : زهير الشايب • جمال الغيطانى • مجيد طوبيا وغيرهم •

أنظر « الرواية وفن القص » مجلة فصول • المجلد الثانى • العدد الثانى - يناير • فبراير • مارس سنة ١٩٨٢ •

جيل الستينات فى الرواية المصرية • سامى خشبه • ص ١١٧
مغامرة الشكل عند روائى الستينيات • محمد بدوى • ص ١٢٥
المفارقة فى القص العربى المعاصر • سيزا قاسم • ص ١٤٣
قصص يحى الطاهر عبد الله الطويلة• صبرى حافظ • ص ١٩٥

قائمة مقترحة لنماذج

الرواية الجديدة فى مصر

- يوسف القعيد :

الحداد	١٩٦٩		
أخبار عزبة المنيسى	١٩٧١	ايام الجفاف	١٩٧٣
البيات الشتوى	١٩٧٤	فى الأسبوع سبعة أيام	١٩٧٥
الحرب فى بر مصر	١٩٧٨		
شكاوى المصرى الفصيح	حـ ١	نوم الأغنياء	١٩٨١
	حـ ٢	المزاد	١٩٨٥
	حـ ٣	أرق الفقراء	١٩٨٥

- أحمد الشيخ :

الناس فى كفر عسكر	١٩٧٩

- ابراهيم عبد المجيد :

فى الصيف السابع والستين	١٩٧٩
ليلة العشق والدم	١٩٨٣
المسافات	١٩٨٣

- يحى الطاهر عبد الله

الطوق والاسورة	١٩٧٥

- مجيد طوبيا :

الهؤلاء	١٩٧٦
غرفة المصادفة الأرضية	١٩٨٧
ريم تصبغ شعرها	١٩٨٣

- زهيـــر الشـــايب :

المصيـــــدة ١٩٧٤

- نجيـــب محفـــوظ :

يدخل دائرة الرواية الجديدة من أوسع الأبواب • فتجاريبه الروائيـة لا حصر لهـا منذ (القاهرة الجديدة) حتى (أسعد اللـه مساءك) ١٩٨٧ • مرورا بأفراح القبـة وأمام العرش ويوم قتل الزعيم • ورأيت فيمـا يـرى النـائم وغيرهـــا •

- اســـماعيل ولـى الدين :

روائى مكثر ثرى التجربة والرؤية •• قـدم عددا كبيرا جـدا من الروايات والمجموعات القصصية • بدءا من سنة ١٩٧١ حتى ١٩٨٧ وقـد يكون من المفيد عرض قائمة أعماله كما أصدرها هو فى آخر مجموعاتـه :

حمـام الملاطيـــلى	١٩٧١
الأقمـــــر	١٩٧٢
حمص اخضـــر	١٩٧٣
تجربـة حـــب	١٩٧٤
حب تحت الحراسـة	١٩٧٥
السـمـــلخانة	١٩٧٦
طائر اســمه الحب	١٩٧٦
دار التفـــاح	١٩٧٧
الموت خلف الفندق	١٩٧٧
حب تحت الأشـــجار	١٩٧٨
رحـلة الشقاء والحب	١٩٧٨
الباطنيـــــة	١٩٧٩
العاشـــــقان	١٩٨٠
منزل العائلة المسمومة	١٩٨٠

أحـــزان ســـقارة	١٩٨٠
زقـــاق العســـكر	١٩٨٠
الـكلاب والبحـــر	١٩٨١
الشارع الأزرق	١٩٨٢
العايقـة والدريسـة	١٩٨٢
النجوم تبكى أيضا	١٩٨٢
غرفـة فـوق السطح	١٩٨٣
عشـــاق الدمـوع	١٩٨٤
القـــاتل والمقتـــول	١٩٨٤
قنـاة سرجوان	١٩٨٥
جحيم نصف الليل	١٩٨٥
درب الرهبـــة	١٩٨٦
شـــجرة العـــائلة	١٩٨٧
القتـــل وسط النهـار	١٩٨٧

* * *